مشيئة الجبار

[عودة اللاجئين]

أنا مشعلٌ ، انا مارجٌ جبارُ لا الريح تخمدني ولا الاعصارُ
سأمد في الآفاق ألسنة اللظى حُمراً ، لها في الخافقين أوارُ
ولأحرقنّ الليل حتى تنجلي أسدافه ، فتوقدي يا نارُ
للميتين دموعُهم وجراحهم وَلجذوتي ساحُ الوغى والثار
ولسوف أغسل جبهتي حتى ترى مثل الضحى ، ويذوب عنها العار
أنا للحياة ، ولن أظل مشرداً ، أقسمتُ لا ارضى ولا اختارُ
ومشيئتي قدرٌ على أقدامه تتمسّحُ الايام والأقدار
لو شئت جمّعتُ النجوم مشاعلاً ودفقتُ منها الموت حين أثار
وذروتُ في القطبين أرياح الردى فالأرض من بعدي لظى ودمار
انا مجرمٌ ، اناحاقدٌ ، انا سيءٌ ، حتى تُعادَ الى ذويها الدارُ

وأطلّ من عينيه شوق للحياة وللفنـــاءِ
كتلاطم الامواج بالامواج في صخب الشتاء
كإرادة الانسان خارجة على حُكم القضاء

وأطلّ من عينيه قنديلانِ مسحورا الضياءِ :
ثأرُ العدالة ان تموت سُدىً ، وثأرُ الكبرياءِ

شفتاهُ تنتفضانِ بالعزم المُجنّحِ ، بالاباءِ
وجبينُه المغسولُ بالآمال ، كالليل المضاء
غسلت حوافيه النجومُ بكل بارقة الرجاء
سيعود زورقه الغداةِ على خضم من دمـاء
ويظلّ يُرعِدُ في الرياح ، وعبر اسوار الفضاء :
« انا مشعلٌ انا مارج جبارُ لا الريحُ تخمدني ولا الاعصار »

وهناك أطلق في المدى المجهول أجنحة الخيالِ
مشتاقة .. مجنونة الشوق النبيل الى المُحال
تتوغل الاعماق والابعاد لاهفة السؤالِ :
لِمَ لا يعود ؟ .. ومَن تراهُ يخط أقدار الرجال !
وهناك ، في القفقاس ، قيدُ زيوس كان من الجبال
قد حطمته يد المشيئة منذ آلاف الليـالي
لِمَ لا يعودُ ؟ بلى يُحديّا كل آلهة القتـال
.. وكأنّ ذكرى الشاطيءِ الغافي هناك على الرمال
نفضتْ جناحَ النسر من قيدٍ صدي الطوق بال
فأعاد أغنية اللهيب ، وظل يُرعدُ في الأعالي :
« أنا مشعلٌ ، انا مارجٌ جبار لا الريح تخمدني ولا الاعصار »

هو مشعلٌ في اللاجئين ، وفي الكهوف وفي الخيام
وجنين صبح دافق الاشراق في قلب الظلام
يتوعد الشذاذ طول الليل بالموتِ الزؤام :
قسماً بيافا ، بالطلول الذاهلات ، وبالحطام ،
بالذكريات ، بكل شبرٍ من ثرى الوطن الحرام
قسماً بفيض الدمع ، والدم ، والانين على الرغام
سيعود اهل الدار رغم مخالب الظلم الدوامي
رغم الذئاب ، هناك في الكهف المبطن بالرخام !
.. لا سِلمَ ان اللاجئين اليومَ اعداء السلامِ
سيظل هاتفهم يُعيدُ حكاية الدم والعظام :
« أنا مشعلٌ ، انا مارج جبارُ لا الريح تخمدني ولا الاعصار »

هذا انا في الليل أضرم جذوتي ليبين لي قبل النهار نهارُ
سأعود في الصبح الندي لموطني ، وغداً يرفُّ على جبيني الغار
واللاجئون هناك ، من آفاقهم يوم النـدا ، يتدفق التيارُ
في كل صدرٍ جذوة عربية تعنو لها الابراج والاسوارُ
لِمَ لا نعودُ ، وفي دثير طلولنا ، وقبور موتانا هناك مزارُ !
.. الرائدون الحق لن يتمثلوا ما خرّف الكهان والاحبارُ
واللاجئون غداً تؤوب ظعونهم مزهوّة ، من حولها الانصار
ودم العروبة لن يَذِلّ لطغمة قاءت بها الآفاق والأمصارُ

فلسطين – رام الله

يوسف الخطيب